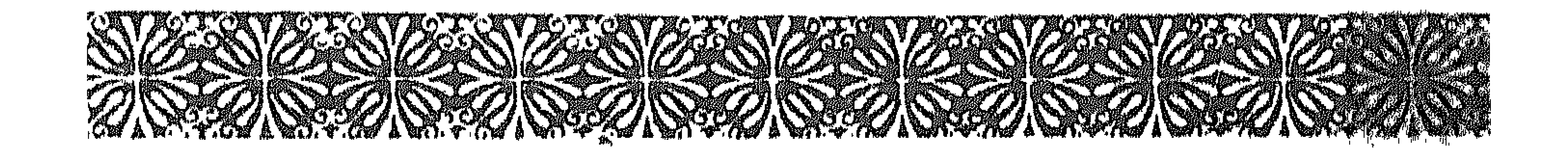
ابراهيم النعمة

الاسلام في أفريقيا الوسطى

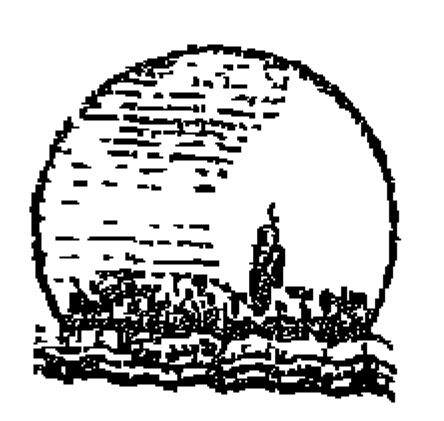




دار الأنصار
بالقاهرة

ابراهيم النعمة

الإسلام في أفريقيا الوسطى



توزيع
دار الأنصار
٨١ شارع البستان ـ عابدين

الطبعة الأولى رمضان ١٣٩٧ هـ

أغسطس ١٩٧٧ م

دار الاتحاد العربي للطباعة

لصاحبها: محمد عبد الرازق

١٩ كنيسة الأرمن ش الجيش

تليفون: ٩٣٤٠٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

« هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ »

(صدق الله العظيم)

الاهـــداء

الى العـلم والعمـل فى مظهر من أجلى مظاهره ٠

الى الأدب اللبـاب فى صورة من أجمل صوره ٠

الى الذى قارع الاستعمار فى جميع عهوده ولم تلن له قناة ٠

الى الذى بعث فى روح الاقـدام والتضحية وشـجعنى على الذهاب الى افريقيـا الوسطى ٠

الى فضيلة أستاذنا عـلامة العـراق الشـيخ بشـير الصـقال ٠٠
أهـدى هذا الجهد المتواضع حبا وتقديرا ٠٠

ابراهـيم النعمـة

المقدمة

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ·
رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ
نبيا ورسولا · والصلاة والسلام على نبى الهدى محمد ـ صلى الله
عليه وسلم ـ وآله وأصحابه ومن دعا بدعوته واختط سبيله أبدا
الى يوم الدين ·

وبعد

فقد عزمت على السفر الى امبراطورية أفريقيا الوسطى لأتفرغ
فيها ـ فترة من الزمن ـ لدعوة الناس الى الاسلام ·· وقد غمرنى
الفرح ـ كل الفرح ـ وأنا أتهيأ لهذه الرحلة ، وكأن شيئا يشدنى
شدا الى الاسراع فيها ·

يا الله ! ·

ما هذا السرور الذى ينبعث من جوارحى كلها ، فأعيش لحظات
أشعر فيها بلذة لا تعدلها لذة أخرى ! ·

وما هذا التفاؤل الذى يجعلنى أتطلع ـ بشوق ـ الى حلول موعد
سفرى ! ·

ولماذا أقف بين اخوتى وأحبائى أحدثهم عن رحلتى المنتظرة
فيباركها البعض ، ويبعث فى روح الاقدام والبذل والتضحية ، ويقف

الآخرون موقفا سلبيا يدعونني فيه ان أعدل عن فكرتي هذه . وأعمل في بلدي التي هي بحاجة ملحة ملحة الى أي صوت اسلامي ، بل الى أية كلمة اسلامية ؟

وعشت أياما ، بل أسـابيع بين مد وجزر في صراع دائم بين الاقدام والاحجام : أقدم رجلا وأأخر أخرى ، لماكنت أسمعه عن هذه البلاد ، لكن السعادة والطمأنينة والراحة كانت تغمرني ، فأحس أن الله معي ، وهو الذي سوف يتولى رعايتي وتسديد خطاي ! .

ألا ما أطيب تلك اللحظات التي يتفرغ المسلم فيها لدعوة النـاس الى الاسلام !

وما ألذ اللحظات التي يقف فيها المسلم يلقن أعدادا من النـاس الشهادة ، فتخرج الكلمات من أفواههم ، وكأنها نور ينبعث من النفس فيبدد ظلامها ، فتشرق بنور ربها اذ يعمرها الاسلام !

انها لذة كبرى ، وسعادة عظمى لا يدرك حقيقتها الا من عاشها بحواسه وجوارحه و (من ذاق عرف ...) .

وابتدأت رحلتي — بتوفيق الله وتأييده — ووجدت من لطف الله ورعايته ما رأيت ..

رأيت الناس قد أقبلت على اعتناق الاسلام اقبالا رائعا !

فقد تتحدث حديثا بسيطا عن الاسلام ، فيبارك الله فيه ، ويكون سببا في اسلام الكثير من الناس ، بل ان منهم من يصبح من حملة الاسلام ودعاته ! .

وكم من أناس كان الضياع قد أسدل عليهم ظلامه ، والتيه قد أرخى عليهم سدوله ، فاذا بالاسلام يمد لهم يده برقة ورحمة فنستيقظ لأداء صلاة الفجر ، فاذا بهم يتوضؤون ليؤدوا الصلاة فى بالحياة تدب فى عروقهم ، فتحلق أرواحهم فى آفاق عليا ٠٠٠ !

كنا نتكلم مع بعض جيراننا فى النهار دقائق معدودة عن الاسلام فنستيقظ لاداء صلاة الفجر ، فاذا بهم يتوضؤون ليؤدوا الصلاة فى وقتها ! ٠

الا ما أسعد تلك اللحظات التى يعايشها المسلم ، وقد تمكن من فتح أقفال تراكم عليها الصدأ منذ زمن طويل ، ولم يتمكن أحد من فتحها ـ على كثرة من حاول ذلك ـ فاذا بالمسلم يمد يده قائلا : باسم الله وعلى بركة الله ، فتنفتح الأقفال كلها أمامه ٠٠ !

انه الاسلام الذى فتح ويفتح كل قفل استحال فتحه ! ٠

وألتفت يمينا ، فأرى مدرسة النصر العربية الاسلامية فأتذكر أن موعد محاضرتى قد أوشك على الحلول ، فأسرع الخطا اليها ، فأجد بانتظارى أعدادا من الناس قد وقفوا ليعلنوا اسلامهم أمامى ٠٠ !

وأعود لالقاء دروس الوعظ فى مساجد العاصمة فأستمع أن أعدادا من الناس تدخل فى الاسلام كل يوم ! ! ٠

أنا لست ممن يملك قابلية خطابية مؤثرة ، ولا علما فى الشريعة غزيرا ، ولكنه توفيق الله الذى بدونه لا يتحقق للانسان نجاح ٠٠٠ ولأن هذا نظام رب العالمين الذى أودع فيه تأثيرا وقوة جذب حتى

صارت الكثرة الكاثرة من الناس تقبل ـ باختيارها ـ من غير اكراه ولا اغراء ، ليكون لهـا الشـرف فى الانضواء تحت راية محمد بن عبد الله ـ صلوات ربى وسلامه عليه ـ ٠

لقد كانت الحركات التبشيرية ـ الصليبية ـ تبذل جهودا جهيدة مع اغراءات مادية تفوق كل تصور ـ وشعب افريقيا الوسطى فقير معـدم ـ ومع هـذا لم تحقق هذه الحركات التبشيرية من النجاح ماحققه ويحققه المسلمون الذين كانوا يقدمون لهم العقيدة والشريعة الاسلامية من غير أن يعطوا أحدا مالا ! ٠٠

لقد أصبحت مؤعنا الايمان كله أن الاسلام سيسود الكرةالأرضية كلها ، وسيتخذ العالم كله الاسـلام عقيدة وشريعة ونظاما ومنهاج حياة ، ذلك أن مشكلات العالم فى ازدياد مستمر ، وقد أخفقت جميع أنظمة ومناهج العالم فى حلها ولا يحلها الا الاسلام ! ٠٠

على أن مسالة سـيادة الاسلام للعـالم كله تتوقف على نشـاط المسلمين وجهودهم وارتفاعهم الى مستوى مسؤوليتهم التى كلفهم الله بتبليغها الى الناس ٠٠ فعلى هذا تقصر المدة أو تطول، والاسلام سيسود العالم ـ ان عاجلا أو آجلا ـ لا محالة ! ٠

سـبحانك اللهم ما أعظمك وما أرحمـك اذ أرسلت لنـا هـذا الرسول الأمين فبلغنا شريعتك التى أحييت بها القلوب ، ونورت بها العقول ، وأخرجت ـ بهـا ـ الناس من الظلمات الى النور ! ٠٠

وهـذا الكتيب الذى بين يديك ـ عزيزى القـارىء ـ ثمرة من ثمرات رحلتى الى امبراطورية أفريقيا الوسـطى التى قضيت فيها ما يقرب من ثلاثة أشهر ٠٠ وقد كتبته ـ كله ـ فى العاصمة (بانكى)

لأعرف المسلمين باخوانهم ليهتموا بأمرهم انطلاقا من قول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ·

ولعل هذه الدراسة المتواضعة تكون بداية لدراسة واسعة عن أحوال المسلمين فى هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ! ··

والله أسأل أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ···

وأرجو الا ينسانى القارىء الكريم من الدعاء لى ولوالدى وللمسلمين · والحمد لله رب العالمين ·

٢٣ شعبان ١٣٩٧ هـ
٨ أغسطس ١٩٧٧ م

ابراهيم النعمة

بانكى

عاصمة امبراطورية أفريقيا الوسطى

أفريقيا الوسطى

تقع امبراطورية أفريقيا الوسطى فى وسط أفريقيا . تحدها فى الشمال تشاد . ومن الشرق السودان . ومن الجنوب زائير والكنغو الشعبية . ومن الغرب الكمرون .

تبلغ مساحتها ٦٢٢٫٩٨٤ كم٢ . ويتجاوز عدد سكانها عن ٢٫٣٥٠٫٠٠٠ نسمة .

ومن أهم معادنها : الماس . الذهب . اليورانيوم .

ويشتغل بالزراعة فيها ٩٠٪ من سكان البلاد .

أهم المحاصيل الزراعية فيها : البن . الفول السودانى . السمسم . السيزال . الكاكاو .

استقلت سنة ١٩٥٨ م وأصبحت فى اطار الجماعة الفرنسية . وفى ١٣ أغسطس سنة ١٩٦٠ حصلت على استقلالها التام .

ويبلغ عدد المسلمين فيها من أبناء البلاد ٥٠٫٠٠٠ خمسين ألفا . ومن الجاليات العربية ٣٠٠٫٠٠٠ ثلاثمائة ألف .

أما النصارى فيبلغ عدد الكاثوليك منهم ما يقرب من ١٦٧ ألفا . ومن البروتستانت ١٠٩ آلاف .

أما الباقون فيدينون بالوثنية ، أو بديانات قديمة أفريقية .

أفريقيا الوسطى والاسلام

دخل الاسلام الى أفريقيا الوسطى قبل أن تدخل الكنائس اليها ، وقبل أن يدخل الاستعمار الفرنسى . بل ان الاستعمار الفرنسى كان له دور كبير فى نشر النصرانية ودعم كنائسها ورجال دينها ١ .

ولربما كان دخول الاسلام الى هذه البلاد منذ القرن الحادى عشر ولم تنقطع حركة الدخول فى الاسلام منذ ذلك الوقت حتى يوم الناس هذا . غير أن حركة الدخول هذه تختلف قوة وضعفا بقوة المسلمين وضعفهم وانحطاط قوتهم السياسية .

وأكثر سكان أفريقيا الوسطى من النازحين من البلاد المجاورة . وكان لهذا النزوح أثر فى نشر الاسلام فى هذه المعمورة .

قلنا ان افريقيا الوسطى تحدها من الشمال (تشاد) . وقد قامت فيها ممالك اسلامية قوية ، نشرت هيمنتها وسلطانها حتى الأجزاء الشمالية والشرقية من امبراطورية أفريقيا الوسطى ، اضافة الى العلاقات التجارية والعسكرية التى كان لها أثرها الكبير فى زرع وغرس طلائع الايمان وكتائب الرحمن التى لا يزال أثرها الى اليوم .

وكان لمملكة (الكادم) التى تأسست فى القرن الحادى عشر ومملكة (البرنو) التى وصلت أوج عظمتها ما بين ١٥٧١ ـ ١٦٠٣ والتى تمثل المنطقة الجنوبية الغربية لجمهورية تشاد الحالية ، ومملكة

(الباترمى) التى دخلها الاسلام في القرن السـادس عشر ، ومملكة (الوادى) التى تكونت من النازحين من السودان ٠٠ وهذه المناطق كلها كانت فى شمال المنطقة ، وهى ممالك مسلمة كانت لها تأثيرات مباشرة مهمة على دخول الاسلام فى هذه البلاد ٠

أما من جهة الشرق ، فان الممالك التى تكونت فيها والغزوات التى أشعلت فيها كان لهـا أثرها على مناطق أفريقيا الوسطى ٠

وهـكذا يتضـح أن الاسـلام ليس غريبا على أهـالى أفريقيا الوسطى ، بل هو قديم ٠

البعثات الكنسية والمجتمع الأفريقي

ما ان وضعت الكنيستان : الكاثوليكية والبروتستانتية أقدامهما على أرض افريقيا الوسطى حتى ابتدأت الافتراءات على الاسلام تنصب من كل جانب : مشوهين حقائقه ، مغالطين فى وقائعه ٠٠ وقد حملوا شعار مكافحة الرق وانهاءه ! ٠ واستخدمت الكنائس والحكومات الاستعمارية هذا الشعار لتوقف زحف الاسلام ، بل لتجعل الناس يتحولون من الاسلام الى النصرانية ٠ وقد ألف عدد من كتاب فرنسا وانكلترا كتبا كثيرة يذكرون فيها أن العرب ما أتوا الى افريقيا الا بحثا عن الرق واستجلاب سن الفيل ٠ وقد لاقت هذه الدعاية رواجا كبيرا فى أوساط المدارس التى كانت تقوم على دعمها ورعايتها الدول الاستعمارية ٠

وتمكنت الكنيسة من الوصول الى أصغر القرى ـ فضلا عن الكبيرة ـ وقد ارتبطت بجماهير الناس ارتباطا وثيقا وذلك بوساطة المستوصفات التى قاموا بفتحها فى كثير من القرى والمدن ٠ وكان لهذه المستوصفات أثر مهم ، فهى التى تقدم الدواء بثمن التكلفة ٠ وهى التى قامت بالاشراف على رياض الأطفال والمدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية ٠

واضافة الى ذلك قاموا بفتح مكتبات يبيعون فيها الكتب التبشيرية بثمن رمزى ٠

وقد فتح هذا المجال أمام الحركات التبشيرية النصرانية فقط ٠ أما غيرها ، فان الأبواب كانت موصدة بوجهها ٠

وقد نجحت هذه الحركات فى مهمتها نجاحا كبيرا ، اذ أعدت جيلا يتقبل أفكار المستعمرين ، بل ويتفانى فى هذا الدفاع ، وحمل مبادئه وأنظمته وأخلاقه ! فقد خرجت هذه المدارس كبار السياسيين والاداريين والتربويين الذين قادوا البلاد فيما بعد ٠ ومن أوضح الأدلة على ذلك أن المؤسس للجمهورية (بارتلمى بوفندا) كان يشغل وظيفة راهب (أب كنسى) ثم نزل الى ميدان السياسة ليمثل مهمته خير تمثيل ! ٠

وقد ساعدت السلطة الحركات التبشيرية النصرانيه قبل الاستقلال وبعده ، ولا تزال الى يومنا هذا تساندها وتضيق الخناق على من يقف فى وجهها ! ٠

وقد نجحت هذه الحركات فى الأوساط الوثنية فقط٠ أما المجتمعات الاسلامية فلم يكتب لها شىء من النجاح رغم ما بذلته من جهود جهيدة ، ذلك أن عقيدة الاسلام تتسم بالقوة والحيوية لا تتمكن حركات العالم كلها من زحزحتها عن مكانها ! ٠٠

الظروف الموضوعية

ـ تآزرت قوى الاستعمار مع الحركات الصليبية لتهيئة جو ملىء بالأمراض الاجتماعية [illegible] ولم تتدخل الكنيسة [illegible] على هذه الأرض ، لاصلاح الأمراض الاجتماعية التي تفشت بجذورها الى الأعماق [illegible] ولم تندد بأي مرض من أمراض ذلك المجتمع حتى بعد الاستقلال والى يوم النـاس هـذا • ألا يدل ذلك على أن الحركات التبشيرية تشجع الأمراض الاجتماعية والخلقية ؟ ! •

ونستطيع أن نجد أمثلة كثيرة [illegible] ومن ذلك ما قام به [illegible] ([illegible]) من [illegible] في المجتمع [illegible] Jeanne Grand (جان [illegible]) [illegible] الدينية يعمل أستاذا في ثانوية [illegible] Lycée de Rapide عمل على استدعاء عدد من الفتيات الفقيرات ، والتقط لهن صورا جنسية مخجلة ، مستغلا ظروفهن المعيشية السيئة • وقد انكشفت هذه الفضيحة وأثارت ضجة كبرى فى البـلاد ، الأمر الذى جعـل رئيس الجمهورية (الامبراطور الحالى) صلاح الدين أحمد بوكاسا يقوم بطرده من البـلاد ومعاقبة الفتيـات •

هذا ما فعله (الكاثوليك) فى العاصمة (بانكى) ولم يكن نصيب (البروتستانت) أقل مما فعله الكاثوليك بشأن القذارة الخلقية •

(٢ ـ الاسلام)

ففى مدينة كبيرة تقع فى جنوب شرق البلاد تسمى (بنقاسو) وقع عدد من الفضائح المذهلة كان وراءها هؤلاء ٠ وقد نال أصحابها بعض الجـزاء ٠

هـذه الفضائح تركت آثارا سيئة بعيـدة المدى لدى الناس ـ بصورة عامة والنصارى بصورة خاصة ـ فلا عجب ـ بعد ذلك ـ أن نرى جموعا ترتد عن النصرانية وتدخل فى الاسلام ، أو تنتقل من كنيسة الى أخرى ، أو لا تهتم بأمر النصرانية الا بالاسم فقط ٠٠٠

المـــد الاســـلامى

لقد ضجر الناس من الكنيسة وتعسفاتها ، وصاروا يبحثون عن دين يسر فراغهم ويخلصهم من ذلك التيه ، فاذا بالاسلام يتحمل هذه المهمة ، واذا به يفتح قلبه لكل الناس ويحتضنهم ، ويحنو عليهم حنو المرضعات على الفطيم ، بل أكثر ، واذا بالناس يدخلون فى دين الله أفواجا على الرغم من العقبات التى كانت توضع أمامهم ٠٠ !

المسلمون فى إفريقيا الوسطى

فى أفريقيا الوسطى قبائل اسلامية كثيرة ـ كانت وما زالت ـ محتفظة باسـلامها ، متمسكة بمبادئه ٠٠ وتتمثل هـذه القبائل فى « الفولا » و « الكارا » و « البولو » فى شرق البلاد ، وقبائل « الرونغا » فى الشمال ، وقبائل « المنجـة » شبه المسلمة ، اضـافة الى قبائل « الامبررو » من الفلاته الرحل ٠ وهـذه عناصر اسلامية فى هـذه البـلاد ٠٠

وقد كان الثمن الذى دفعته هـذه القبائل باهظا مقابل تمسـكها باسلامها خاصة بعـد دخول الاستعمار الفرنسى البـلاد ، ونشـاط الحركات التبشيرية التى كانت تلاقى الدعم والتأييد من الفرنسيين٠ كانت هذه القبائل تعايش فقرا مدقعا وحاجة كاوية الأمر الذى أدى ـ بطبيعة الحال ـ الى عدم ادخال أبنائهم فى المدارس ٠٠ وحتى من دخل منهم هـذه المدارس ، فان البـاب أمامه قد أوصد ، ذلك أن المسلمين قد اعتبروا أجانب ، لانهم وفدوا على أفريقيا الوسطى من خارج البـلاد : من السودان أو تشـاد ـ ولو كانوا يحملون جنسية أفريقيا الوسطى ـ ٠

لقـد استطاعت الكنيسة أن تقنع الجميع من أن غير المسـيحى والوثنى أجنبى عن البلاد ٠٠ ! وعلى هذا لا يتمكن الطلاب المسلمون من مواصلة دراساتهم ، بل ان بعض المسلمين اضطروا لأن يضيفوا

الى أسمائهم أسماء أفرنجية حتى يتمكنوا من الدراسة ـ ولو كانوا فى الداخل متمسكين باسلامهم التمسك كله ٠٠٠ !

أما الموظفون المسلمون ـ على قلتهم وندرتهم ـ فقد كانوا يلاقون ظروفا قاسية جدا ، اضافة الى أنهم لا يوضعون فى مراكز مهمة ٠٠٠!

هذا الضغط الذى عايشه المسلمون فترة طويلة من الزمن ترك آثارا سيئة على الشباب الاسلامى ـ فيما بعد ـ اذ صار الابتعاد عن الاسلام يأخذ طريقه فى الناس ٠٠٠ !

الجاليات الاسلامية

استطاعت الجاليات الاسلامية أن تقوم بدور مهم فى امبراطورية أفريقيا الوسطى لا نتمكن من مقارنته بأية جالية أخرى فى أى بلد كان .. فقد مثل « التشاديون » و « الهوسا » و « البرنو » و «الفلاته» ركيزة للاسلام ثابتة قوية .. وقد بقيت هذه الجاليات فترة طويلة من الزمن فى هذه المنطقة .. اضافة الى أن الاسلام يمتلك قوة وجاذبية فى ذاته ...

وكان موقف الجاليات الاسلامية صلبا أمام المجتمع الفاسد . فقدموا بهذا الدعم المعنوى للمسلمين الوطنيين ، وحافظوا على تقاليدهم الدينية فى مساجدهم كما حافظوا على زيهم الاسلامى ، وأقاموا الشعائر الاسلامية ، وكانوا يحتفلون بالأعياد الاسلامية ، وقد بنوا عددا من المساجد ... ان ذلك كله أعطى استمرارية لبقاء الاسلام فى هذه الديار ، بل وانتشاره فيما بعد ...

وقد كان الناس يشعرون بفراغ كبير ، وتيه قاتل ، وهم يعتنقون ما يعتنقون من ديانات باطلة ، وأفكار تافهة .. وكان قسم من هؤلاء تتجلى أمامه عظمة الاسلام فيقبل ليعلن اسلامه ، فمن يقف معه غير الجاليات الاسلامية التى كانت تأخذ بيده لتعرفه العقيدة والشريعة الاسلامية ؟

وعلى الرغم من الصعوبات التى كانت تواجه الجاليات الاسلامية،

ورغم الضغط الشديد الذى كان يمارس ضد المسلمين ، ورغم الخوف الشديد من السلطة ٠٠ رغم هذا كله وجدت دعوات اسلامية فى هذه الربوع من البلاد قامت بدور كبير خطير ٠٠

الثقـــافة الاســــلامية

ان طالب الثقافة العـامة عن الاسـلام فى امبراطورية افريقيا الوسـطى يدور فى حلقة مفرغة ، اذ يفتش هنا وهناك عن الـكتب الاسلامية ، ثم يرجع بخفى حنين ــ كما يقولون ــ ٠

فالمكتبة المدرسية فيها مجموعة من الكتب المنهجية ، وأخرى مهداة من المـركز الثقـافى الفرنسي والأمريكى تتحـدث عن أمجاد فرنسا وأمريكا وتاريخهما ٠٠٠ !

وتوجد مكتبات أخرى تباع فيها الأناجيل وبعض الكتب النصرانية مترجمة بعضها الى اللغة المحلية ــ لغة السانغو ــ ٠

كما أن فى العاصمة مكتبات أخرى لبيع الـكتب البوليسـية ، ومكتبة واحدة لبيع الصحف ٠

أما المكتبة الاسلامية ، فليس لهـا وجود فى افريقيا الوسطى كلها ٠٠٠ !

اسلام الرئيس بوكاسا مع وزرائه

أعلن الرئيس (جان بيديل بوكاسا) اسلامه فى يوم الاثنين ٢٥ شوال سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٨ أكتوبر سنة ١٩٧٦ م وغير اسمه الى (صلاح الدين أحمد بوكاسا) ٠

أما ابنه فقد غير اسمه الى (أحمد) ٠ وسمى رئيس الوزراء باسم مصطفى ، ووزير الاعلام باسم محمود ، ووزير الدولة والتخطيط باسم محمد على ، ووزير الاذاعة المرئية باسم على ٠٠٠ !

وقد دخل هذا الجمع الغفير الجامع الكبير فى (بانكى) وأعلنوا اسلامهم ٠ وما ان تم لهم ذلك حتى ارتفعت حناجر المسلمين بالهتاف المعروف : الله أكبر ٠٠ الله أكبر ! ٠٠ وقد لبس صلاح الدين بوكاسا عند قدومه الى الجامع زيا اسلاميا : هو عبارة عن جبة زرقاء وقلنسوة حمراء ٠٠٠ !

وبعد أن أدوا صلاة الظهر فى الجامع المذكور وأذيع هذا النبأ باللهجة المحلية ــ السانغو ــ غمر المسلمين فرح شديد ، وصار بعضهم يصافح بعضا ويقدم له التهانى ٠٠ !

الاستعمار واسلام الرئيس بوكاسا :

كانت افريقيا الوسطى تتلقى مساعدات من أمريكا وفرنسا وألمانيا ٠٠ ولما أعلن الرئيس اسلامه ، قطعوا هذه المساعدات ،

وقالوا له : ان لم ترجع عن الاسلام فلا نعطيك شيئا من المساعدات ،
ولكنه لم يلتفت اليهم وتحملوا أزمة اقتصادية خانقة حتى أن موظفى
الدولة ظلوا أربعة أشهر من غير أن يستلم أحدهم مرتبه من دائرته ·
وهذا الوضع اضطر الرئيس (بوكاسا) الى أن يبيع عمارته الخاصة
التي في باريس لكي يعطي الموظفين مرتباتهم)

الاسلام والحركات التبشيرية

ان الحركات التبشيرية النصرانية تخشى ، بل تموت فرقا من دخول الاسلام الى هذه البلاد ، وتحسب لذلك كل حساب . فيوم بدأ الاستعمار يتقهقر [illegible] القارة من جديد فى ربوع أفريقيا الوسطى ، انطلقت الحركات التبشيرية [illegible] مرعب .. ومن كلامهم الذى كانوا يتناقلونه بينهم : لقد دخل الوباء ــ ويعنون الاسلام ــ الى أفريقيا . لقد تغلب على أفريقيا الاسلام !! . وصار بعضهم يحض بعضا على مضاعفة جهودهم التبشيرية ، وقد ضاعفوها فعــلا ، وانتشروا فى كل قرى الأدغال الوثنية فضلا عن مدنها ... !

ويمتلك المبشرون امكانيات مادية كبيرة جدا ، ولا أحسب أن أية منظمة فى العالم تملك ما تملكه الحركات التبشيرية .. ! وقد قال لى مسؤول يعمل فى المركز الثقافى الليبى فى (بانكى) : ان المبشرون هنا يملكون أكثر مما تمــلك حكومة ليبيــا كلها . ففى العاصمة ــ وحدها ــ شيدوا عشرات ، بل مئات الكنائس الشاهقة ، وما تكاد تمشى خطوات قليلة حتى يستوقفك منظر كبير ، فاذا هو كنيسة . وكثير من هذه الكنائس تملك مطابع حديثة ، وتقوم بطبع الــكتب طباعة جيدة على ورق صقيل ، وتوزعها على الناس مجانا مع الانجيل .

الفرنسيون واللغة العربية

منع الاستعمار الفرنسى تدريس العربية فى أية مدرسة كانت ، بل شن حربا ضروسا لاهوادة فيها على لغة القرآن وجعل مفتشين يقومون بتفتيش المدرسة الوحيدة للمسلمين فى العاصمة (بانكى) والتى عرفت فيما بعد باسم (مدرسة الفلاح) ٠ ومن هؤلاء رجل فرنسى ولد بالجزائر ويحسن العربية كتابة وقراءة ، وكان مكلفا بتفتيش هذه المدرسة ٠٠ فلم يكن له وقت محدد يأتى فيه للتفتيش ، بل كان يأتى فى كل الأوقات فاذا علم الطلاب أو المدرسون بقدومه أخفوا ما معهم من كتب العربية تحت الحصير ثم جلسوا فوقها ووضعوا أمامهم كتبا أخرى ٠٠ بل كان هذا المفتش الصفيق يأتى الى مدير المدرسة فى بيته ، ويفتش عن الكتب العربية عنده ٠٠ ويفتش حتى تحت سريره ٠٠٠ !

واضافة الى هذا ، فقد وضع الاستعمار الفرنسى حراسة مشددة على الحدود السودانية والتشادية : فاذا جاء أحد من السودان أو تشاد يريد دخول البلاد فتشوه ٠ فاذا وجدوا معه كتبا بالعربية حبسوه فى السجن وأخذوا منه الكتب ٠٠ !

وظل الأمر هكذا حتى تم الاستقلال عام ١٩٦٠ فانتقلت السلطة الى أيدى الوثنيين الأفارقة ، فتوقف التفتيش وخف الأمر بعض الشىء ٠

الاستعمار الفرنسى ٠٠ والأخـلاق

لقد ثبت لكل من يعنى بعلاج الأمراض الاجتماعية أن الاستعمار بأشكاله كلها عمل – ولا يزال يعمل – على نشر الأخـلاق الساقطة وتشجيع الرذائل فى كل مجتمع يتمكن من السيطرة والهيمنة عليه . وكأن الاستعمار ما وجد الا ليقوم بدور تحطيم القيم والفضيلة ٠٠ !

وكم من مجتمعات كانت تتبـاهى بقوتهـا ، وتزهو بطاقاتها ، وتتبختر اعجابا بقدراتها . فاذا بها تضمحل ، وتنحسر عنها تلك القوة ويأخذها النعاس ، فتغفو ، وما هى الا فترة قصيرة حتى تغط فى نوم عميق وسبات قاتـل مميت ٠٠٠ ! ولا تـكاد تفتح عيونها وتستقيظ حتى يتبين لهـا أن تلك القوة والعظمة قد ذهبت ، ولم يبق لها اسم ولا رسم ولا صـورة ولا جسم ، وحل محلها الضعف والوهن والخور ٠٠ !

هذه الحقيقة تكررت مرات ومرات على مدار التاريخ : كالمجتمع اليونانى والرومانى والفرنسى والانكليزى ٠ ومن هذا المنطلق صار الاستعمار يتخـذ الاسـاليب القاتلة المدمرة لتحطيم الأمم وتـدمير المجتمعات والشعوب ٠ بل ان كثيرا منهم يخشى من الأمة التى لاتزال محـافظة عـلى قيمهـا ، معـتزة بأخلاقهـا ، متمسـكة بمثلهـا وتقـاليدها السـامية ٠٠ ولا نعـجب – بعـد ذلك – اذا رأينـا فيلسوفا من اكابر فلاسفة الغرب يؤلف كتابا فى المدنية الاسـلامية والمدنية الغربية يحذر فيه أمم الغرب من المسـلمين الذين لا يزالون متمسكين بالحشمة والنقاء والعفة والطهر ، والذين سيحطمون حضارة

الخلاعة والمجون والعهر والفحش والرذيلة ، ويقيمون مقامها الحضارة الاسلامية ـ حضارة الأخلاق العالية والسجايا الناصعة ـ فيقول : ان أخشى ما أخشاه ان ترثنا أمـة مازال جسدها طاهرا ، ولكن من حسن حظنا أنهـا الى الآن لم تعرف نفسها ، ولم تـع قدراتها ٠٠ ألا وهى الأمة الاسلامية ٠٠٠ !

لذلك نرى الاستعمار الفرنسى قام بتحطيم قيود الخلق والفضائل من أول يوم تمـكن فيه من استعمار أى بلد كان ٠٠ فما أن وطئت قدماه أراضى أفريقيا الوسـطى حتى نشر الميوعة والانحـلال بين الناس ، وشجع شرب الخمور ، بل حببه الى الناس ، حتى انتشر بين الناس انتشار النار فى الهشيم ، وعم وطم فى المجتمع بأسره ، حتى صار الناس ينتظرون ـ بفارغ الصبر ـ انتهاء الشهر ، ليقبضوا مرتبهم فيذهبوا لشراء الخمر من حاناتها ٠٠٠ !

وقد يأخذك العجب العجاب وأنت تسير فى هذه الأيام فى الشوارع حيث يخيل اليك أن (بانكى) كلها قد تحولت الى حانة كبيرة من حانات الخمر ٠٠٠ !

أجل ، قد تحولت (بانكى) الى حانة كبيرة من حانات الخمر ٠٠ !

ولا تظنن أنى أبالغ فى هذا ٠٠ ! لا ٠٠ ولكنها الحقيقة المرة التى أذكرها للتـاريخ بحسرات وزفرات وعبرات ٠٠ فاذا علمت أن فى العاصمة نفسها ـ على صغرها ـ أكثر من ألف حانة من حانات الخمر أدركت أن المجتمع قد غرق الى الأذقان فى بحر من الرذائل ، وأصبح أسيرا لتلك الخمرة التى لعبت بلبه وخامرت عقله ٠٠ !

وكثيرا ما نرى الرجال والنساء فى منعطفات الطرق يشربون الخمر ويعربدون ، ويظلون هكذا حتى الصباح ...

وقد اسس فى العاصمة معمل فرنسي واسع لانتاج البيرة ولا يكاد يتوقف عن العمل فى الليل ولا فى النهار .. وعلى الرغم من سعته وكثرة من يعمل فيه وكثرة انتاجه فلا يكاد يسد ما يستهلكه الناس ... !

وما غرق المجتمع فى شرب الخمور وأصابه الطوفان الا بعد أن يسر الاستعمار الفرنسي شراء الخمر ، وجعله فى متناول كل يد — ولو كان فقيرا معدما يعايش فقرا مدقعا وحاجة كاوية ، حيث صارت قناني الخمر تتراوح أثمانها بين ١٠ [illegible] ٥٠ [illegible] ٢٥ [illegible] ٥٠ [illegible]
١٣٠٠ فرنك ، والفرنك الواحد يساوي فلسا واحدا عراقيا تقريبا ..

ولا نعجب [illegible] الدول التي تباع الخمرة فيها بثمن زهيد كهذه الدولة [illegible]

ومما يبعث على الألم أن يكون ثمن قنينة ماء الشرب أغلى سعرا من سعر بعض قناني الخمر ، ذلك أن قنينة ماء الشرب تباع بأكثر من ثلاثين فرنكا ، ويأتون بها [illegible] لأن ماء النهر لا يخلو من [illegible] وكذلك ماء الآبار فيشرب الاجانب من هذه المياه المعقمة ، أو المياه [illegible] فيه مادة الكلور .

[illegible]

[illegible] فقد [illegible] الناس على ذلك [illegible]

فيهم الجراثيم ٠٠ ! وقد تؤثر على بعضهم ، لكنهم لا يعيرون لذلك اهتماما ، لأن الناحية الصحية تكاد تكون مفقودة من البلاد ٠٠ !

الرقـص :

أما عن الرقص ، فيخيل اليك أنه اصـبح سمة من سمات هـذا المجتمع ، اذ تلاحظ الشباب والفتيات يرقصون معا على أنغام الموسيقى فى البارات ، بل حتى فى الشوارع العامة ، ولا يعتبرون ذلك غضاضة ولا منقصة

استهتار :

وقد ضرب الفساد الخلقى بجذوره الى الأعماق فى هذا المجتمع وتسرب حتى الى الجامعة والمدارس الثانوية فكثيرا ما تحمل الطالبة سفاحا ، واذا ولدت فقد تأتى به الى الجامعة أو الثانوية ٠٠ ! وقد يتزوجها من ارتكب معها تلك الفعلة الشنيعة ثم يتخلى عنها فتسقط فى المجتمع ويزداد انحرافها فتبيع عرضها لكل طالب ، لتحصل على لقمة العيش فتقاسى الآلام طوال حياتها ٠٠ !

ولا نكاد نجد اثرا — ولو ضئيلا — لغيرة ذويهن ! ولا يرون ذلك مدعاة لأى لوم أو تثريب أو توبيخ ، بل يرون ذلك أمرا طبيعيا يمر بسلام كما تمر الأحداث الطبيعية ٠٠ !

ان هذه الظاهرة المؤلمة كثيرة متكررة فى هذا المجتمع لا تستوقف أحدا ولا تستلفت الأنظار لكثرة شيوعها وانتشارها ٠٠! وهكذا تكون الأخلاق العالية قد أفلت ، وبغروبها يزداد المجتمع ارتكاسا فى الأوحال

والمهاوى ·· ! وادا لم نلاق هـذه الظاهرة من يقاومها فيعمل على تقويم الخلق ، وحسم الداء ، فسوف يكون مستقبل هذه البلاد أسوأ مستقبل عرفته البشرية ··· !

على أن الاستعمار الفرنسى اذ نجح هـذا النجاح كله فى افساد اخلاق المجتمع ومسه مسا مباشـرا ، فانه لم يستطع أن يؤثر على أخـلاق المسـلمين تاثيرا كبيرا ، ذلك أن لهـم من دينهم وتراثهـم وحضارتهم ما يصدهم عن الوقوع فى مثل هذه الموبقات ··

ومما يبعث على الأمل أن تنبت فى هذا المجتمع المنحرف المرتكس فى الأوحال والقـذارة الخلقية الى الأذقان شبيبة مسلمة تحدت كل فساد وانحراف ، وحافظت ولا تزال تحافظ على أخلاقها وسلوكها ، وهى تدعو الناس الى التمسك بهذه الفضائل والمكارم ·· وتتلألأ أسـارير وجه كل مخلص وهو ينظر الى المسلمين فى (جلابيبهم) البيضاء أو الملونة وسلوكهم المستقيم ، فيحمد الله على أن جعل فى مثل هذا المجتمع الفاسد من يدعو الى الخير والفضيلة ··

هكذا أسلمت

قصة إسلام الداعية الإسلامي إسماعيل سنكا

اسمه قبل اسلامه (بول سنكا) وهو من عائلة معروفة في أفريقيا الوسطى ينتمي الى قبيلة تسمى (سنكا) وأخوه وكيل النيابة فى محافظة من محافظات أفريقيا الوسطى وهو كاثوليكى قد تعصب لها [illegible]

كان اسماعيل مرهف الحس ، دقيق النظرات ، فلما يمر أمامه شيء الا يتأمل فيه ، ويمعن فيه النظر ، وكان على معرفة بالإنسان قوى الجسم حاد الطبع ، تبدو على قسمات وجهه علامات العنف والقوة ؛ لا يجامل أحداً ، يخافه كل من يعرفه ، ينفذ ما أراد تنفيذه مهما كانت التبعة بعد ذلك ... !

ويلتقى اسماعيل بهذا الرجل فى يوم من الايام والمؤذن يؤذن لصلاة المغرب : الله اكبر الله اكبر فتبدو على قسمات وجه هذا العملاق الجبار الخشوع والخوف والخضوع ... !

سبحان الله ... !

أهذا الذى يخشاه الناس – كل الناس – يسمع المؤذن يؤذن فيخشع قلبه ، ويتحول من تلك القساوة الى هذا الخشوع الذى أرى ... ؟ !

ما هــذا ؟!

ويتابع اسماعيل النظر فيه ، فاذا هو يدخل الجامع ليؤدى صلاة المغــرب !

لقد أعجب اسماعيل بهذا المنظر ، وصار يأتى كل يوم فى صلاة المغرب ليلاحظ هذا التحول الدى يصير عند الرجل ٠٠ !

وبقى اسماعيل أياما عديدة يأتى الى هذا الرجل فى وقت المغرب فقط ، ويقف قريبا منــه ، لينظر الى هــذا التغير الذى يطرأ عليه ، ويسائل نفسه : ما هذا التحول الذى يطرأ عند كل أذان لهذا الرجل ؟

كان اسماعيل يأتى وقت المغرب فقط ، لأنه كان يعتقد أن المسلمين يصلون صلاة واحدة فقط هى صلاة المغرب ٠

وقف اسماعيل يتأمل المسلمين فى صلاتهم !

يا للــه !

ما هذه الصفوف المستقيمة ؟ !

ما هذا النظام الرائع ؟ !

ما هذه الحركات الجميلة ؟ !

وبقى فى صراع دائم مع نفسه ، فلابد أن يكون وراء هــذه العبادة سر عظيم لا أعلمه !

كان اسماعيل يدرس فى المدارس الثــانوية التى ينــال خريجها وظيفة (القس) ، ولم يبق على تخــرجه ونيله هــذه الوظيفة غير سنتين فقط فتحدثه نفسه :

لمـــاذا لا أعتنق الاسلام ؟ انى لأرى شيئا يشدنى الى هذا الدين شــدا ٠

ثم يراجع نفسه فيقول : أنا ان اعتنقت الاسلام سيطردنى أهلى من البيت ، وســأبقى طريدا فريدا وحيدا فى هــذا المجتمع ، أتجرع غصص الآلام !

ثم يراجع نفســه فيقول : لا ٠٠ ان الذين يملكون هــذا النظام العظيم لا يتركونني أعاني حيــاة النكد والبؤس والمحن من غير أن يمدوا الى يد العون ويتدخلوا لمساعدتى لأصل الى الحقيقة التى أبحث عنهــا ٠٠

اذن أريد أن أعلن اسلامى !

يقف هنيهة متلفتا نحو اليمين والشمال :

ــ أخشى أن أكون قد تكلمت بما دار فى خلدى !

لا ٠٠ لا ٠٠ لم أتكلم ولم يسمعنى أحد ٠

يأتى الى زميله القديم فيسيران معا ، وتبدو على قسمات وجه اسماعيل أمارات القــلق والاضــطراب ، ولم يخف ذلك على زميــله فيسأله :

ــ مالك ؟ ٠

ــ أراك على غير طبيعتك ؟

ــ ان لدى أمورا تشغلنى ٠

ــ ما هى ؟

ــ لا أريد أن أبوح بها الآن ٠

ويلفهما الصمت ثم يتفرقان ، وتبقى مناظر الخشوع والجاذبية الاسلامية تعمل فى نفس اسماعيل ٠٠ انه لا يتمكن من النوم ، وعينه لا تذوق الكرى ، وما أن تأخذه سـنة من النوم حتى يستيقظ وهو مفكر فى أمر هذا الدين ٠٠ انه الاسلام ٠٠ !

وأخيرا قرر اسماعيل أن يعلن اسلامه !

ذهب الى الجـامع والتـقى بامامه وقال له : أريد أن أدخـل فى الاسـلام !

قال : الست أخا فلان ــ وكان يعرفه ــ ؟

قال : نعم ٠

قال : فخذ رأيه فى مسألة اعتناقك للاسلام !

ذهب اسماعيل فترة من الزمن ثم عاد اليه ليخبره أن أخاه قـد وافق !

قال له الامام : قل : أشـهد أن لا اله الا الله وأشـهد أن محمدا رسول الله ٠ فنطق اسماعيل بها ، فأعطاه الامام جلبابا يلبسه (١) ٠ فأخذه اسماعيل وذهب الى داره !

وقف هنيهة قبل أن يدخل داره بجلبابه مفكرا سائلا نفسه : ماذا سيقول لى أخى لو علم باسلامى ؟

وماذا سيكون موقف عائلتى المتعصبة ضد الاسلام ؟

لا بد لى أن أضع الجلباب فى مكان لا يراه أهلى !

---

(١) الجلباب فى أفريقيا الوسطى عبارة عن ثوب يلبسه المسلمون فقط لا يشاركهم فى لبسه غيرهم ٠

وتلفت يمينا وشمالا ، فوجد شجرة قريبة من داره ٠٠

ها هى هذه الشجرة ٠٠ سأضع جلبابى فوقها فى مكان لا يراه أحـد ٠٠

وصعد اسماعيل على الشجرة ، ووضع جلبابه فى مكان بعيد عن أعين الناس ثم نزل ودخل داره ٠٠

وظل اسماعيل مدة أسبوعين هكذا : اذا خرج من داره صعد على الشجرة وأخـذ جلبابه ولبسه واذا عاد جعله على الشجرة ثم دخل داره ! ٠

ويشاء الله أن يكشف اسلام اسماعيل ، ليكرمه بفضيلة وشرفه الجهاد فى سبيله ، وتحمل المشاق من أجله ، فيأتى الامام الى دار اسماعيل بعد أسبوعين من اعلانه الاسـلام ٠٠ يطرق الباب سائلا عن اسماعيل ؟

يخرج شقيق اسماعيل (وكيل النيابة) فيفتح الباب ويسأله : لمـاذا تسأل عنه ؟ وما حاجتك اليه ؟

قال : لأنه أسلم قبل أسبوعين ، ولم أره بعد ذلك !

وهنا ثارت ثائرة أخيه ٠٠ كيف ينتقل أخى الى الاسلام ؟ !

قال له الامام : ألست ـ أنت ـ الذى أذنت له بذلك ؟

قال : لا ٠٠ لا ٠٠ اننى ما سمحت له ولن أسمح له قط ٠٠٠ !

عاد الامام حزينا آسـفا يلوم نفسه عما بدر منه ، لـكنه كان يتعزى بأن هذا الأمر حدث هكذا ، ولله فى خلقه شؤون ٠

على أن اسماعيل لم يستشر أخاه ، لأنه يعلم مقدما أنه متعصب للكاثوليكية تعصبا أعمى ٠٠ !

عاد اسماعيل الى داره وهو لا يعـلم ما حدث له ٠٠ صار يكلم أهله فلا يرد عليه أحد ولا يلتفت اليه ولا يهتم بأمره !

لقد تنكر له كل شيء حتى الأرض التى يسير عليها فمـاذا يفعل ؟

ظن اسماعيل أنهـا أزمة بسيطة سرعان ما تنفرج ، وظل يومين يتقرب الى أهـله ، فلا يلاقى منهم الا اعراضا ونفورا وعـدم مبالاة فعزم على الهـرب من مدينته التى هى (سـانغا الاقتصادية) الى العاصمة (بانكى) ٠٠

وعلى حين غفلة من أهله هرب من بيته وجاء الى العاصمة وفى ظنه أنه سيفهم الاسـلام فيها ٠٠ وجاء الى امام وخطيب الجـامع الكبير الشيخ عبد الله السنغالى فأخبره الخبر فلم يعره اهتماما ٠٠ ! وبقى عنده فترة من الزمن من غير أن يعلمه شيئا عن الاسلام ٠٠٠ !

لقد اسودت الدنيا فى وجهه ، لكنه بقى صابرا ، مؤمنا الايمان كله أن النهاية لا تكون الا بجانبه ٠٠ !

وهنا قيض الله له رجلا مسلما يعمل فى التجارة بين الـكنغو الشعبية وأفريقيا الوسطى فأراد مساعدته فقال له : اذهب الى فلان وفلان وفلان ليسـاعدوك ثم اذهب الى نيجيريا لتدرس الاسـلام هنـاك ٠٠٠

كان اسماعيل يريد أن يحصل على أجرة النقل الى نيجيريا فقط ،

ولكنه لما ذهب برسائله التى أعطاه اياها هذا الرجل المسلم الى التجار عاد بخفى حنين ، اذ لم يساعده أحد ... !

جاء هذا الرجل المسلم الى الجامع الكبير بعد ثلاثة أيام فوجد اسماعيل فى المسجد ساكنا واجما فسأله :

لماذا لم تسافر يا اسماعيل ؟

فأخبره الخبر : فتأسف ومد يده فى جيبه وأخرج ثلاثة آلاف فرنك ـ أى ما يساوى ثلاثة دنانير عراقية تقريبا ـ وقال له : خذ هذه ، وابتدىء بالسفر ، لعل الله يفتح عليك !

لقد اهتم بأمره هذا الرجل المسلم ، لأنه عرف من حديثه معه أنه ذو ثقافة جيدة ، اذ أنه كان يدرس الفلسفة وكثيرا من العلوم ، وهو يجيد الفرنسية قراءة وكتابة .. وقد أعطاه عددا من الرسائل الى عدد من الأشخاص يعرفهم سيمر بهم فى طريقه الى نيجيريا .. كما أعطاه رسالة أخرى الى فقيه فى نيجيريا له مكانة مهمة فى المجتمع .

وابتدأ اسماعيل سفره على بركة الله بهذه الفرنكات القليلة ، لكنه فى سفره هذا وجد العجب العجاب ، جعله يتقلب على جمر الغضى ، اذ كان قسم من (المتمسلمين) من يستلم الرسالة ، ويرده ردا جميلا ولم يساعده بشىء . ومنهم من يغلظ له القول ويرده ردا غير جميل بعد أن يقرأ الرسالة ويقول له : المسلمون كثيرون . هل أنت ستكثر عددهم ؟ فيخرج منه ، وتكاد نياط قلبه تتقطع ألما من هذا الرد ! ولكن ماذا يفعل ؟

أيعود إلى النصرانية ليعيش فى كنف أهله حياة هادئة هانئة ، ويذهب ويعود معززا مكرما ؟ أم يظل متمسكا باسلامه الذى صار يشعر بحلاوته فى قلبه ؟

يرجع الى نفسه بعد هذه الخواطر ليقول لها : لا ٠٠ لابد أن أواصل السير للوصول الى الحقيقة ٠٠

ويصل اسماعيل الى (الكمرون) بعد جهد ونصب ولا يساعده غير عالم واحد من علمائها ، فرحب به وضيفه عنده تسعة أشهر ، وكان يدرسه الشريعة الاسلامية فتعلم فى هذه الفترة شيئا من تعاليم الاسلام ٠

وما أن وصل اسماعيل الى (الكمرون) ودخل الى أول جامع فيها حتى رأى ما يستلفت نظره ! رأى امام المسجد يتكلم عن قتل النفس ، وعقوبة ذلك فى الدنيا والآخرة ٠٠٠ !

لقد تملك اسماعيل العجب من هذا الكلام ، اذ قد سمع أن المسلمين اذا مرض أحدهم يقومون بذبحه قبل أن تصل روحه الحلقوم ، ويسلخون جلده ، ليستفيدوا منه فى عمل التميمة ! وقد أوحى المبشرون النصارى الى الناس كافة بهذا ، وجندوا جنودهم لينشروا هذا الافتراء ، فاذا بهذه الفكرة عن المسلمين تنتشر انتشار النار فى الهشيم ، ويؤمن أكثر الناس — من غير المسلمين — بها ٠٠

وقد ثبتوا فى أذهانهم كذلك أن الذين يقومون بدفن الموتى يغسلون أيديهم عند القبر بالماء ، لأنهم يقومون بسلخ جلده ٠٠ !

كان اسماعيل — الى هذه الفترة — يؤمن بأن هذه حقيقة مسلمة

فى الاسلام لكنه لا يعلم تعليلها ! وانتهز هذه الفرصة ليسأل الشيخ هذا السؤال :

اذا كان الاسلام لا يرضى بالقتل ، فلماذا تذبحون ـ أنتم ـ المريض ، وتسلخون جلده قبل موته ؟

وكان الامام ذكيا يعلم مداخل المبشرين ومخارجهم، فنفى أن يكون ذلك فى الاسلام ، وجاءه بدلائل كثيرة تثبت صحة ما يقول ٠

ولم يكتف الامام بهذا ، بل أراد أن يريه كذلك ذلك الافتراء بعينيه ، فكان اذا سمع بمريض أوشك على الموت يأتى مع اسماعيل اليه يجلسان عند رأسه ينتظران موته ، ليثبت لاسماعيل أن المسلمين لا يذبحون أحدا ٠٠٠!

لقد سمعوا بمريض أوشك أن يفارق الحياة ، فذهبا مسرعين اليه ، وبقيا عنده أياما عديدة ، ولكن الله شفاه فلم يمت حينذاك ٠٠

وسمعا بمريض آخر بعد ذلك ، فأسرعا الخطا اليه وبقيا عنده حتى فارق الحياة واسماعيل ينظر اليه ٠ ثم قام أهله بتغسيله وتكفينه ثم دفنه وهو معهم لا يفارقهم حتى تأكد اسماعيل ـ بنفسه ـ تأكدا تاما كذب تلك الدعاية المغرضة ٠

ان المبشرين لا يدعون مجالا من مجالات الحياة الا يدخلونها ليشوهوا حقيقة الاسلام ٠ وقد لمسوا فى أفريقيا أن التمائم منتشرة انتشارا واسعا ، وأن كثيرا من المسلمين قد وضع عنده لوحا ، فيأتيه المريض ، فيكتب فى هذا اللوح بعض الأدعية ثم يمحوها بالماء،

ويشرب المريض هذا الماء ليشفى ! ٠٠ أو يكتبون ذلك فى الأوراق ٠!

وقد استغلت الكنيسة هذه الظاهرة ، وركزت فى أذهان الناس أن المسلمين يقومون بعمل السحر حتى لا تخرج روح المسلم ، لذلك تتعفن اعضاؤه كلها ، ولا تخرج روحه حتى يذبحوه ٠٠ !

وقد واجه اسماعيل فى (الكمرون) مشكلة كبيرة ، لكنه كان صابرا أمام كل ما يلاقيه ٠٠

عندما قدم أوراقه الى المسئولين فى (الكمرون) ليقيم فيها أوجسوا منه خيفة ، وظنوا أنه سياسى هارب خاصة بعد أن أعلمهم أنه طالب فى الصف الثالث المتوسط ٠٠ ولقد تبين لهم أنه ذو ثقافة عالية ، فظنوا به الظنون . وغلقوا الابواب فى وجهه وقالوا له : لا يحق لك أن تخرج خارج العاصمة قبل مضى سنة على وجودك هنا ٠٠ !

وقد اتخذوا هذا ضده بعد أن حدثت مشـادة كلامية بينه وبين المتصرف ومدير الشرطة فى شأن الاسلام والنصرانية ، اذ أن المتصرف ولد من أبوين مسلمين ، لكنه نما وترعرع فى الكنيسة ، وقد اهتم بتوجيهه وتدريسه النصرانية أحد القسس ٠٠ !

وكان هذا المتصرف فى طفولته خالى الذهن عن الاسلام تماما لم يسمع عن الاسلام منذ ولادته الى أن التقى مع اسماعيل الا الشبهات والافتراءات حول الاسلام ، لذلك تمكن هذا القسيس من ضمه الى صفوف النصرانية ، الأمر الذى جعل أبويه يتبرآن ويطردانه ٠٠٠ !

وكان المتصرف يوجه له أسـئلة كثيرة ، فيجيبه عليها اجابات

مقنعة بفؤاد ثابت وهدوء وطمأنينة ..

كان جو الغــرفة حارا ، وكان العرق يتصبب من وجه اسماعيل وجسمه كله ، فأراد المتصرف أن يستعلى عليه ويثبت أن أسئلته قد أحرجته فقال له بعد أن وجد قطرات العرق فى وجهه : أنت ساخن ؟ !

فأجابه اسماعيل : لا .. ولــكن جو الغرفة حار ـ كما تعلم ـ وليس من أسئلتك .. !

كان لحديث اسماعيل مع المتصرف وقع كبير الأثر فى نفس هذا المتصرف ، اذ كان يتحدث معه حديثا هادئا بعيدا عن العاطفة معززا بالحجج والبراهين الدامغة .. واستمرت العلاقة بينهما تتوثق ـ بعد ذلك ـ حتى اســتطاع اسماعيل أن يؤثر فيه ويرجعه الى الاســلام ويعود الى أبويه ... !

أما مدير الشرطة فظل على موقفه معاندا ، محاربا له ، لا يسهل له أى أمر من أموره ..

واذا علمنا أن مسائل السفر تتعلق ـ فى هذه البلاد بمدير الشرطة أكثر من تعلقها بالمتصرف أدركنا أن مسألة سفره سوف تتعثر .. !

بقى اسماعيل فى (الكمرون) تسعة أشهر ، اســتفاد فيها من الشيخ الذى حل عليه ضيفا علما وأدبا ، وقد قرر ـ بعد هذا ـ أن يغادر (الكمرون) ولكن كيف يغادرها ومدير الشرطة قد أخذ أوراق سفره ، ولم يعطه اياها ؟

بذل اسماعيل جهودا كبيرة ليستعيد أوراقه من مدير الشرطة ..

ولكن من غير جدوى ، لأن الحقد الأسود قد سد عليه كل باب للخير ، فلم يوافق على اعطائه أوراقه ٠٠٠ !

قرر اسماعيل السفر الى نيجيريا ليدرس فيها الاسلام ، وليتعرف على هذه المبادىء الخالدة التى ملكت عليه جميع حواسه ٠٠

قرر ذلك ــ ولو لم يأخذ أوراقه من مدير الشرطة ــ وقد قال مخاطبا مدير الشرطة عند عزمه على السفر : اننى سأسافر الى نيجيريا ــ ولو لم تعطنى أنت الأوراق ــ وأن الله سيرعانى ويحفظنى ، لأنى قد خرجت فى سبيله وابتغاء مرضاته لنصر دينه وشريعته التى فتح الله قلبى لها ، وأخرجنى فيها من الظلمات الى النور ٠٠

وقد كانت رعاية الله تحيطه من كل جانب لأنه خرج فى سبيله بنية صادقة ٠٠

ووصل الى نيجيريا ، ولم يكن معه جواز السفر ولا أوراقه الأخرى ٠٠

ولما وصل الى نيجيريا نزل ضيفا عند عالم كبير من علمائها ٠ وقد أحسن العالم ضيافته ، وبقى عنده عدة شهور استفاد منها فى تعلم بعض الشريعة الاسلامية ٠٠

كانت وجهة اسماعيل الأولى الى (السنغال) وكان يتطلع للذهاب اليها بكل شغف وشوق ، ذلك أنه سمع أن فيها علماء يستفاد منهم فى فهم الشريعة الاسلامية ، فلا بد له أن يشد الرجال اليها ، ليدرس هذه الشريعة التى أنقذ الله بها الدنيا المعذبة ، وهدى الانسانية الحائرة ٠٠

ولكن كيف يذهب الى (السنغال) وليس معه جواز سفر ؟

فكر فى هذا الامر ٠٠ ماذا أفعل ؟

ـ لم يبق أمامى الا أن أطلب مساعدة هذا الشيخ الجليل الذى ذلل أمامى كثيرا من الصعوبات ٠٠ اننى سوف أصارحه ـ لعل الله ييسر لى أمورى ٠٠ !

لقد كان للشيخ مكانة مرموقة فى المجتمع ، وله نفوذ يستطيع أن يأمر وينهى ٠ وكثير من علماء أفريقيا يمتلكون هذه السلطة على العكس تماما من علماء العرب الذين ليس لديهم من الأمر شىء ٠٠ !

وما إن سمع الشيخ مقالة اسماعيل حتى أمر المسؤولين أن يعطوه جواز سفر ٠٠ وما هى الا فترة قصيرة حتى حصل اسماعيل على هذا الجواز ، فدفع الشيخ جواز السفر الى اسماعيل مع كمية من النقود ، وبدأ اسماعيل سيره على بركة الله الى السنغال مارا بالنيجر وفولتا العليا ومالى ٠٠

ولما وصل الى (مالى) وجد اسماعيل مهندسا من أهالى (فولتا العليا) يعمل بوكالة السيارات ٠٠ !

ان اسماعيل أصبح صاحب رسالة لابد أن يبلغها الى الناس فى حله وترحاله ، وهو يشعر بالغبطة والسرور حين يقوم بهذا الواجب ٠٠

عرض اسماعيل الاسلام على هذا الرجل ، فلم يقتنع ، وحصلت بينهما مناظرة طويلة ، لم يتمكنا من الوصول الى نتيجة مرضية ٠ وقد سمع اسماعيل بالرجل الصالح والعالم التقى الورع (ابراهيم

كولخ) فدعاه الى أن يذهبا معا الى هذا العـالم ليتناظرا معه حول الاسلام والنصرانية ٠٠

وقد رحب الشاب المهندس بهذه الفكرة ، وبدت على قسمات وجهه علامات السرور والرضا ، لانه كان ينشد الحقيقة كذلك ، ولم يسمع عن الاسلام الا الشبهات فقط ٠

ابتدأ الرجلان بالسـفر حتى وصلا الى (السـنغال) وكانا فى شوق شديد لرؤية الشيخ ابراهيم كولخ فى مدينته (كولخ) ٠

ان اسماعيل وصاحبه لم يريا الشيخ ابراهيم كولخ من قبل . وقد وصلا الى السنغال فلابد أن يسرعا الخطا للوصول اليه ٠٠ !

واستمرا فى السير حتى وصلا الى جامعة يوم الجمعة ٠٠ ولمـا أصبحا قريبا من الجامع اذا بالمصلين يخرجون منه ، اذ قد انتهت صلاة الجمعة ، وكان الشيخ ابراهيم كولخ معهم ٠٠

انه لمنظر جميل حقا يستلفت الأنظار ٠٠ !

ما هذه الجموع ؟ !

لمـاذا اجتمعوا هذا الاجتماع ؟

ما أجمل هذه الوجوه المشرقة النيرة !

انه لمنظر يدعو الى التأمل ٠٠ !

وبينما هما يعيشان فى هذه التأملات والخواطر اذ حدثت أمامهم مفاجأة مذهلة ، كان وقعها على نفسيهما أكبر بكثير مما يصوره يراع أى كاتب ٠٠ !

لقد وقف من بين المصلين رجل وخاطب اسماعيل قائلا له : أنت من أفريقيا الوسطى ، وقد دخلت فى الاسلام ، وجئت لمقابلتى ولتدرس على ٠٠ !

وأما أنت فمهندس جئتنى لتناظرنى فى أمر الاسلام ٠٠ !

وقف الرجلان مذهولين مما رأيا ولم ينبسا ببنت شفة ، وقطع هذا السكوت المهندس ، اذ رفع صوته بقوله : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ٠

يلتفت اسماعيل الى صديقه المهندس ويسائله : كيف علمت أن الاسلام حق وما عداه باطل ؟

فيجيبه : علمت ذلك من أمور كثيرة آخرها : رؤية هذه الجموع وهى تخرج من المسجد ، ورؤية هذا الرجل الصالح الذى ينظر بنور الله ٠٠

بقى اسماعيل فى السنغال ما يقرب من سنتين درس فيها أمورا مهمة فى العقيدة والشريعة الاسلامية والتقى فيها بشاب يدعى ابراهيم جوب الذى يتقن الفرنسية والانكليزية ، وقد عكف على دراسة القرآن الكريم وكتب عنه باللغتين : الفرنسية والانكليزية ٠

وقبل أن يزمع على السفر اقترح عليه رجل من (موريتانيا) أن يذهب اليها ليتعلم فيها العربية ٠٠ وقد وافق اسماعيل على ذلك أول الأمر ، لكنه فى الصباح عدل عن رأيه ، اذ تذكر مدينته وأصدقاءه وما هم عليه من العقائد الزائفة ، فقرر أن يعود الى بلاده ليبشر بهذا الاسلام ٠٠

وابتدأ اسماعيل فى العودة الى بلاده ، وما أن وصل الى الحدود التشادية التى تحد بلاده من الشمال حتى بدأ يبشر بالاسلام ، فاذا بالجموع الغفيرة تأتى اليه وتعلن الدخول فى الاسلام ٠٠

واستمر اسماعيل يتجول فى أفريقيا الوسطى شمالا وغربا يدعو الى الاسلام ، وقد حقق الله على يديه هداية عدد كبير من الناس ٠

ولما وصل الى محافظته (سنغا الاقتصادية) كانت أخباره قد طارت فى أرجاء المنطقة كلها ٠٠ وقد استبشر به أبناء قبيلته ورحبوا به ترحيبا عظيما ٠ ومما جعلهم يتعلقون به أكثر فأكثر سماعهم له فى الراديو حيث وجهوا اليه أسئلة كثيرة ، فكان يجيب عليها اجابات مقنعة حتى نال اعجاب كل السامعين ٠٠ !

وما أن وصل الى مدينته حتى تلقاه الناس بالطبول ، وكان يوما مشهودا لا ترى فيه أحدا الا قد عمه الفرح والسرور !

وكان من عادة الناس أن يشربوا الخمر ويرقصوا اذا جاءهم ما يسرهم ٠٠ وما أن ابتدأ قسم من الحاضرين بشرب الخمر والرقص ، حتى وقف اسماعيل حاملا حقيبته وقال يخاطبهم : هذا حرام فى الاسلام ، فان تركتموه والا خرجت من عندكم ٠٠ ! فقام الجميع ، وتركوا الخمور وامتنعوا عن الرقص ٠

ومنذ ذلك اليوم بطلت عادة شرب الخمور والرقص فى هذه القرية ، وصاروا يقدمون الشاى للناس بدل الخمر ٠

وتذكر اسماعيل اخوته الصغار ! لقد تركهم منذ فترة طويلة ،

أيظلون عاكفين على تلك العبادات الزائفة ؟

ـ لا ٠٠ لابد لى أن أدعوهم الى الاسلام ٠٠ وقد عزم على ذلك وبدأ الحديث معهم ، فحقق الله على يديه هدايتهم ٠

وبقدومه دخلت قريته كلها فى الاسلام !

ولا يزال اسماعيل الى حين كتابة هذه المذكرات يدعو الى الاسلام، وقد أعلن الاسلام على يديه آكثر من ألفى شخص الى الآن ، ولا يزال يدعو ، ولا تزال الجموع تدخل فى دين الله أفواجا ٠

ان اسماعيل ـ الى حين كتابة هذه المذكرات ـ لا يزال فى ريعان الشباب ، وقد التقيت معه ثلاث مرات فى (بانسكى) ٠٠ ولو وجد من يمده بالمال لأصبحت أفريقيا الوسطى كلها اسلامية فى وقت قصير ٠

مسلمون على الطريق

لو وجد من يدعو الىالاسلام على بصيرة وبينة ، لأصبحتأفريقيا ـ كلها ـ اسلامية بين عشية أو ضحاها ، ولتخلص الناس من هذا التيه الذى جعل كلا منهم ينقلب على جمـر الغضى ، لـكن تفريط المسلمين بهذا الواجب جعل أعداءه يستغل المواقف ويتصيد فى الماء العكر لينشر الأضاليل والافتراءات عن الاسلام والمسلمين ..

وتسألنى بعد ذلك : كيف ينتشر الاسلام فى هذه البلاد ؟

انه ينتشر بقوته الذاتية .. اذ يجد الناس فيه الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية التى يتطلع اليها ويجعلها نصب عينيه كل من أوتى عقلا اذا كان متجردا من الهوى والنزوات ، ولا يرى فى الحياة التى يعايشها من غير اسـلام الا الحيرة والتيه والعذاب ..

ولكن المؤلم ــ حقا ــ أن المسلمين ــ أنفسهم ــ كثيرا ما يكونون حجابا عن دخول الناس فى هذا الدين ..

ولا يأخذك ــ عزيزى القارىء ــ العجبمن هذا ، فانها الحقيقة المرة التى نصرح بها فى ألم وحسرات ليعرف المسلمون حقيقة أوضاعهم التى يعايشونها .. وحتى لا نكون كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمال وتظن أن أحدا لن يراها ما دامت كذلك .. !

ففى هذه البلاد يفتح الله قلوب الناس على الدخول فى الاسلام ،

فيأتون راغبين فى اعتناق هذا الدين ، ويأتون الى المسلمين الذين ـ فى اعتقادهم ـ الانموذج الصحيح لتمثيل الاسلام تمثيلا صادقا ، ولكن المأساة تتضح حين يضع المسلمون عقبات أمام من يرغب فى اعتناق الاسلام ، بل يتبعون معهم أساليب تنفرهم من الاسلام بدل أن تؤلف أرواحهم وتحببه الى قلوبهم وهاكم مثالا واحدا على ذلك :

لو أراد واحد من المجوس أو النصارى أن يدخل فى الاسلام وجاء الى بعض المسلمين ليعلن اسلامه أمامه اشترط عليه أن يذبح للناس ذبيحة ، ويترك جميع ملابسه التى كانت عليه ، ويتصدق بعدد من النقود ، وقد يملون عليه شـروطا أخرى ، وذلك ـ كما لا يخفى ـ يؤدى الى نفرة الناس من الاسلام ، فيظل على دينه القديم ، لأنه لا يتمكن من الايفاء بهذه الشروط !

وقد يفى بكل ما يشترط عليه من شـروط ، وحين يأتى الموعد المضروب ليعلن اسلامه يؤجلونه يوما أو يومين أو أكثر ، فيمل من هذه العقبات والعقد التى يضعونها أمامه فيرغب عن اعتناق الاسلام !

واذا علمنا أن سكان البلاد يعانون ضيقا ماليا كبيرا ، ويعايشون عسرا اقتصاديا مميتا قد لا يشابهه عسر آخر ، أدركنا مدى الطامة التى تترتب على مثل هذه الشروط !

الا أن الاسلام مظلوم فى العالم كله ، وقد ظلم فى المسلمين قبل غيرهم ! .

البهائية

البهائية فرقة مارقة عن الاســلام ، ومعتقدها مرتد ، لايدفن فى مقابر المسلمين ٠

وقد عملت البهائية ولا تزال تعمــل وتقوم بدور كبير فى خدمة الصهيونية ، وهى لا تؤمن بأىدين من الأديان السماوية ، بل وتنال منها بدناءة وخسة ! ٠

وقــد بدأ النشاط البهــائى فى امبراطورية أفريقيــا الوســطى سنة ١٩٧٠ حين ما قام مسؤول أمريكى كبير بزيارتها ، واتفق مع المسؤلين فيها أن يسمحوا للنشــاط البهائى فى العمل داخل هــذه البلاد ٠فتم تشكيل مركز لهم فى العاصمة (بانكى) ٠

وقد أصبح لهذه الطائفة نشاط كبير فى أفريقيا الوسطى منذ ذلك الحين والى يومنا هذا ٠٠ ولهم برنامج فى الاذاعة يشرحون فيه مبادئهم الى الناس ، ويقوم على رآستها رجل يهودى انتحل اسما مستعارا واسمه الحقيقى (عزور) وكان له نشاط صهيونى فى احدى الدول ، وما أن كشف اللثام عن تنظيمه حتى لاذ بالفرار !

ولهذه الطائفة خطر كبير على مستقبل الاسلام فى هذه البلاد ، اذ تقوم الدول الاستعمارية كلها بمساعدتها وتأييدها ماديا ومعنويا ٠

لقد لمست هذه الدول أن الاسلام سيسود الكرة الأرضية كلها ، لذلك صاروا يعملون على تشجيع هــذه الطائفة وأمثالها ، حتى اذا انتشر الاســلام وساد العــالم كان على هــذه الطريقة المشوهة ٠ وما أسهل القضاء عليه حينذاك !

الشيوعية

لم يقم الاتحاد السوفييتى بتقديم أية مساعدات مادية الى امبراطورية أفريقيا الوسطى ، ولكنه طلب من الحكومة أن تقوم بارسال عدد من أبنائها للدراسة فى معاهدها وكلياتها كل عام ٠

ولم يقصد الاتحاد السوفييتى من ذلك مساعدة هذه الدولة الفتية ، بل كان يهدف الى نشر مبادئه فى هذه البلاد التى لم تكن له فيها ركائز ٠٠

وقد أرسلت الحكومة عددا من أبنائها حسب الاتفاق الذى تم بينهما ٠ وما أن وصل طلابها الى الاتحاد السوفييتى حتى أجرى الشيوعيون لهم عملية (غسل الدماغ) وملأوا أذهانهم بفكرهم ومبادئهم ٠٠

وهكذا يفعل الشيوعيون مع كل طالب يأتى للدراسة فى معاهدهم اذ يولون كل اهتمامهم فى اقناع الطالب بهذا الفكر ٠ أما مسألة العلم التى جاء الطالب من أجله متحملا كل نصب فهى ثانوية ــ بالنسبة لهم ــ لا يولونها كثير اهتمام ، مادام قد تشبع بهذا المبدأ ، فيعود الطلاب الى بلادهم ، ولم يتعلموا العلوم التى أتوا من أجلها ، بل قد تشبعوا بالفكر الشيوعى الذى صاروا من حملته ودعاته ٠٠

وقد تجلت هذه الحقيقة بصورة واضحة بما قام به الطلاب الأفارقة من الذين درسوا فى الاتحاد السوفييتى من اصدار منشورات

تحمل هذا الفكر ، وتعمل على نشر الفوضى فى البلاد ، الأمر الذى جعل الحكومة تتخذ قرارا تمنع فيه طلابها من الدراسة فى الاتحاد السوفييتى ، وقد اضطرت أن تعتقل قسما منهم ، وأصدرت بيانا جاء فيه أن عقوبة الحبس من ٥ ــ ١٠ سنوات ستنزل بكل من يذهب للدراسة هناك ، وسيعاقب كل من يكون سببا فى هذه الدراسة أو يشجع عليها ، واذا تكرر من الطالب الذهاب للدراسة فيه ثانية يعاقب بالحبس مع الأشغال الشاقة من ١٠ ــ ٢٠ سنة .

البابنكا

نحن الآن فى الربع الأخير من القرن العشرين ، ولا يزال البعض من سكان العالم يعيش عيشة بدائية قاسية كعيشة الحيوان ! ٠

وقد تستغرب ـ عزيزى القارىء ـ لأول وهلة اذا قلت لك ذلك ، لكنها الحقيقة الواقعة فى بعض مناطق أفريقيا ، اذ أصبحت الحياة التى يعايشونها هى صورة طبق الأصل لما كنا قد قرأناه فى عهد الطفولة فى المدارس الابتدائية عن الانسان القديم ٠٠ غير أن الفرق بين الانسان القديم وانسان القرن العشرين فى أفريقيا أن الانسان القديم كان كبير الجسم ،طويل القامة ، مفتول العضلات ، على العكس من الانسان الحديث الذى لا يتجاوز طوله المتر الواحد الا ببضع سنتيمترات بالنسبة للرجال ٠ أما النساء ، فلا يتجاوز معدل طولهن عن المتر الواحد فقط !

والناس فى هذه الغابات عراة لا يسترون الا القبل والدبر فقط بأوراق الشجر ، أو بخرق بالية ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء ، يعيشون فى الغابة ، حيث الأشجار الكثيفة والأمطار الغزيرة والحرارة التى تستعر بهم من كل جانب ، ويسكنون فى الكهوف ، أو تحت ظلال الأشجار ، أو فى بيوت صغيرة يصنعونها من الخشب ، ويطلق على هؤلاء اسم (البابنكا) ٠

وأجسام هؤلاء ـ ولو كانت صغيرة ـ الا أن النشاط والحيوية

والحركة تتمحر منها . حتى صارتجميع الحيوانات تخشاهم وتهرب منهم ـ ولو كانت قـوية فتاكة ـ . والذى يبـدو ـ كـذلك ـ انهم يتمكنون من قتل أى حيوان بسهولة .. ويأتى بعض الذين تعودوا الذهاب اليهم بسن الفيل منهم ، ويأخذونه منهم بثمن بخس كحفنة من الملح أو التبغ ، وهم يحبون أكل الملح حبا عظيما .

ولـمـا كانت حياتهم فى الغابات بين الاشجار ، فقد بلغوا فى الخفـة فى تسـلق الأشجار مبلغـا لم يبلغهـا غيرهم من الانسـان ولا الحيوان اللهم الا القرود فقط !

أما لغتهم التى يتكلمون بها . فهى لغة خاصة بهم لا يفهمها أى من البشر ، ولا يفهمها حتى سـكان افريقيا الوسطى غيرهم ! واذا رأوا انسانا غريبا عنهم قد ارتدى الملابس فروا منه فرار الشاةأمام الأسد الساغب ، ولم يقتربوا منه ..

ولا يستطيع أحد أن يمسك واحدا منهم الا بصعوبة بالغة ، ذلك أنهم حفروا لأنفسهم مخابىء بين الأشجار فى الأرض يلجأون اليها اذا داهمهم الخطر . أو يتسلقون الاشجار .. وقد قامت الحكومة بالقاء القبض على عـدد منهم وقدمتهم فى احتفالاتها أمام الناس ليقوموا ببعض الفعاليات ..

وقد استطاع البعض ـ بعد محاولات طويلة ـ أن يقف مع عدد قليل منهم ، وذلك بعد أن قدموا لهم من الطعام الشىء الكثير الا أن أكثرهم لا يزال ينفر من أى انسان يراه ..

وقـد التقيت يوم ١٩٧٧/٧/٣١ بعـدد منهم فى الغابات التى

تبعد عن العاصمة (بانكى) ٢٠٠ كم ، وكان بصحبتنا شابسودانى يعمل فى السفارة العراقية يحسن الكلام بلغة البلد السائدة (السنغو) ٠

ومن حسن الحظ أن تمكنا من اللقاء بعدد منهم ، فلم يهربوا منا ، لأن سكنيهم فى الغابة قريب من قرية (اسكات) التى هىقريبة منقرية امبراطور البلاد (صلاح الدين أحمد بوكاسا) الذى أعلن اسلامه قبل بضعة أشهر ٠٠ وقد اعتاد هؤلاء رؤية سكان القرى ٠ لذلك لم يهربوا منا ٠٠ !

ومن حسن الحظ ـ كذلك ـ أن تمكنا من اللقاء بمسؤول من مسؤوليهم يحسن الكلام بـ (السنغو) وقال : أنا (بوليس) هذه المنطقة ٠٠

وقد استأذناهم فى رؤية بيوتهم التى يسكنونها فى الغابة ٠٠ وما أن ابتعدنا عن الشارع العام قليلا متوغلين فى غاباتهم هذه حتى وصلنا بيوتهم التى وجدناها . صغيرة جدا ، دائرية الشكل ، لا تتجاوز مساحتها عن مترين مربعين ، ولا يتجاوز ارتفاعها عن متر ونصف المتر ! وقد كونوا بيوتهم من قطع من الخشب ، عرض كل واحدة ٤ سم تقريبا ٠ وليس فى البيت أى شىء من الأثاث سوى عدد من قطع الخشب وضعوها على الأرض بصورة منتظمة واتخذوها سريرا لنومهم ٠٠

وقد سألناهم :

ـ هل تدينون بدين ؟

ـ لا ٠٠

ـ من خلقكم وخلق الكون ؟

ـ جابا .. وهى ـ بلغتهم ـ تعني الله .

ولما رأيت كلامهم هذا قلت : سبحان الله ! ان الناس مفطورون على الاعتقاد بوجود الله ، والرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يقول : (كل مولود يولد على الفطرة ...) .

والذى يبدو ان مسؤولهم هذا قد ألف حياة القرى ، فهو لسانهم الدائم ، وسفيرهم فى البلد ..

ـ لماذا لا ترتدون الملابس ؟

لماذا لا ترتدون الملابس ؟

قالوا : ليس لدينا ملابس . وقد تجدون من يملك الملابس ـ ولو كانوا أقل من القليل ـ الا أن سكان المنطقة لا يسمحون لهم بارتدائها ، بل يأمرونهم أن يعيشوا كما يعيش الناس عراة : الرجال والنساء على السواء .. !

وقد وجدنا مسؤولهم هذا يمتلك سروالا وقميصا باليين ، وقد ارتداهما أمامنا وقال : أننى ألبس هذه الملابس حين أذهب الى سوق المدينة لاشترى بعض ما يحتاجه جماعتى ! .

أما عن الطعام الذى يأكلونه ، فهو مما فى الغابات من نباتات .

ان الحياة التى يعايشونها قاسية جدا ، ومنظرهم مرعب وتتقزز منه النفس .. وقد صحبنى فى رحلتى هذه عدد من اخوانى فلم يتمكن أحدهم من السيطرة على نفسه ، بل اصفر وجهه وغلبه القىء . ولولا أننا ابتعدنا عنهم بسرعة لتردت صحته أكثر وأكثر ولا يزال الى الآن طريح الفراش حين أكتب هذه المذكرات وأنا فى اليوم الثانى من رحلتى اليهم .

وبعـــــد :

فان المستقبل للاسلام لا محالة ! هكذا قرر كثير من الفلاسفة والعلماء من غير المسلمين والمسلمين على السواء ! ٠

وكل من ينظر الى استجابة الناس حين يدعون الى الاسلام فى أفريقيا الوسطى ، بل فى العالم كله يزداد ايمانا على ايمان بهـذه الحقيقة ٠٠ !

لقد وقر فى أذهان أكثر سكان أفريقيا أن الاسلام دين الرجل الأسود فقط ، ولا يتصورون أن فى العالم كله مسلما واحدا أبيض البشرة ! !

ويزداد هذا الاعتقاد تغلغلا فى نفوس الناس خارج العاصمة أكثر مما فى داخلها ، فلو تفرغ عدد من دعاة الاسلام لأفريقيا لصارت كلها اسلامية فى وقت قصير !

لقـد خرج واحد من دعاة الاسلام الى قرية (النـدو) التى تبعد عن العاصمة ٥٠٠ كم ولم يبق فيها الا ساعتين فقـط ، وكان يعرف الناس فيها بالاسلام ، ويشرح لهم خطوطه العريضة ٠٠ فهل تعلم - أخى المسـلم - أن أعدادا كبيرة من الناس دخلوا فى لاسـلام فى هذه الفترة الوجيزة ؟ ! ولا يزال الناس بين حين وآخر - يأتون الى العاصمة من القريـة نفسها يعلنون اسلامهم على رؤوس الأشهاد !

●● انهــا صيحة أطلقها من امبراطورية أفريقيا الوسطى أخاطب فيها كل مسلم غيور :

تداركوا أفريقيا قبل فوات الأوان ! ٠

فهــل من مستمع ؟ ٠٠

وهــل من مستجيب ؟ ٠

فهـــــرس

الموضــــوع	الصفحة

رقم الايداع ٧٧/٤٤٥٢

الترقيم الدولى ٢ ــ ٠٣ ــ ٧٢١٩ ــ ١٩٧٧

